الرامي رمى لبوة أخرى. فاخذتها منهم واعطيتهم بدلاً منها رطلين من البارود وقليلاً من الرصاص. فذهبوا واستطردوا البحث عن اللبوة المرمية فوجدوها وسلخوا جلدها واتوني به. اما انا فاخذت الشبلين وربيتهما فالفا عليّ كغيرهما من الحيوانات الاليفة انتهى

هذا والصيادون جادّون الآن في اثر الاسود وربما قرضوها بعد زمن قصير فتمحي من الحيوانات البائدة ولا يبقى لها ذكرٌ الاّ في الكتب ومعارض الحيوانات

الصين والصينيون

الصين ولا يجهل احدٌ امرها اكبر مملكة في الدنيا فيها من السكان ما يناهز على مئتين وخمسين مليوناً مع ان بلاد الروس واسعها ومقامها بين ممالك الارض معروفان لا يبلغ عدد رعاياها مئة مليون. نعم ان السلطنة الانكليزية لا تغرب الشمس عنها لاتساعها وفيها من السكان زهاء ثلثمئة مليون نفس ولكنّ الفريق الاكبر منهم خاضع خضوعاً غير تام. والصين اقدم ممالك الارض وشعبها اقدم الشعوب وعوائدهم تخالف عوائد اكثر الناس وقد مرّ عليها الوف من السنين مستقلة بنفسها مستأثرة بالثروة والمجد يطمع فيها الفاتحون فيغزونها ثم ينقلبون عنها مخذولين او يمتزجون بسكانها ويتخلقون باخلاقهم ويصيرون منهم

والصينيون يحبون الصناعة ولهم فيها مهارة عجيبة والصانع يحب بالمصنوعات البديعة ويحب اقتباسها ولذلك راجت عندهم سوق المصنوعات الاوربية ولا سيما الآلات والادوات ولكنهم لم يغفلوا عن ان استخدام المصنوعات الافرنجية وتقليدها شيءٌ وتولية الافرنج مصالح اهل البلاد واستخدام اموالهم لاجرائها شيءٌ آخر. ولذلك لم يسمحوا للافرنج ان ينشئوا معامل ولا سككاً حديدية في بلادهم. ومنذ نحو عشر سنوات اشترت شركة انكليزية ارضاً في بلاد الصين بين سنغاي ووسن واستأذنت الحكومة بانشاء طريق للمركبات فيها ثم احتالت فانشأت فيها سكة حديدية طولها ثمانية اميال فاغتاظت الحكومة من ذلك وفي الآخر اضطرت ان تشتري الطريق وتخربها وهم لا يجهلون فوائد السكك الحديدية ولكنهم يقولون اننا اذا انشأناها الآن اضطررنا ان ننشئها بمال اوربا ورجالها فتكون ارباحها لها لا لنا فالاجدر بنا ان نصبر حتى يصير عندنا مال ورجال فننشئها بمالنا ونديرها برجالنا. وحبذا الوقت الذي يقرّ فيه هذا القول بالفعل لان من لا يسعى لنفسه لا ينفعه سعي الغير له ولا سيما اذا اتّكل عليه اعتمادهُ

وموارد العلم في الصين قديمة العهد جداً كما في كل بلدان المشرق وكانت الطباعة معروفة

عند اهلها قبل ان عُرفت في اوربا بقرون عديدة . وكتبهم كثيرة واسعة جدًّا يشتمل بعضها على اكثر من مئة وثلاثين مجلدًا كبيرًا . قال بعضهم انهُ ابتاع كتابًا من هذه الكتب قصدَ حملهِ الى بلاد الانكليز فملأت مجلداتهُ قاربين كبيرين . وهم يحبون العلوم ويجلون قدرها ويقرأونها على اربابها سنين عديدة ويحفظون كتبه فلاسنتهم غيبًا . ويجتمع نحو عشرة آلاف من نخبة طلبة العلم للامتحان كل سنة في مدينة باكين فلا يجوز الامتحان الاَّ لثمثة منهم لصرامته . ولكنَّ الذين يجوزونهُ تفتح امامهم ابواب المناصب ولذلك يقصدهُ كل مَن يطلب الشهرة مهما كان سنُّهُ فقد يكون فيهِ رجل وابنهُ وابن ابنهِ ويمتحنون معًا . وعند الصينيين اقدم جريدة في الدنيا فانها انشئت منذ نحو ثماني مئة سنة ولكنها تقتصر على نشر الاوامر الدولية والامور الرسمية فلا ينتفع بها الشعب كثيرًا . ومنذ عشر سنوات انشأ احد الانكليز جريدة في شنغاي فاستفاد منها الصينيون فوائد جمَّة ويقال ان سلطانة الصين تقرأها كل يوم وتنتبهُ الى ما يُكتب فيها من انتقاد اعمال رجالها . فالصين من هذا القبيل مثل غيرها من بلدان المشرق لها السبق في العلوم والمعارف ولكنَّ اوربا قد سبقتها الآن بمراحل فعليها ان تقتدي بها اذا ارادت مجاراتها

والزواج مكرَّم عند الصينيين مرغوب فيهِ لاجل اخلاف النسل . وعندهم ان الكبائر ثلاثٌ وان العُقم اكبرها . وهم يزوجون ابناءهم في السنة العشرين من عمرهم وبناتهم في السابعة عشرة . وفي كل مدينة من مدنهم نساء اكثرهنَّ من الارامل يسعَيْنَ بين العروسين فاذا اراد احد ان يزوج ابنهُ رأى لهُ ابنةً تناسبهُ من معارفهِ وتصد امرأةٌ من هؤلاء النساء وسلها كتابةً يبيّن فيها اجوال ابنهِ بالتفصيل فتذهب بها الى بيت الفتاة وتخطبها الى ابويها فاذا قبلا التقى بهما ابوا الفتى واتفقوا على شروط الخطبة والزيجة اما الخطيب والمخطوبة فلا يرى احدهما الآخر قبل يوم الزواج . والغالب عندهم ان اهل العروس يعرضون ابنتهم على اهل العريس فان لم يرضَ هؤلاء بذلك لم يرفضوهُ رفضًا صريحًا بل ادعوا انهم خطبوا لابنهم ابنة اخرى قبل ذلك . وعندهم ان الزواج يعقد في السماء قبل عقدهِ على الارض

والهيئة الاجتماعية في بلاد الصين خاضعة لنواميس الرصانة واللطف كما كانت في كل بلدان المشرق وهي تأمر النساء بالتحجب . وهذا لو حافظ الصينيون على الآداب والفضائل واتبعوا طريقة اهل المغرب في تعليم نسائهم وتوسيع اخبارهنَّ حتى يساعدنهم على تهذيب الاولاد وترقية البلاد